الوزير فخر الدولة بن جهير الموصلي(ت483هـ/1090م) " دراسة لسيرته ودوره الاداري في ظل الخلافة العباسية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي"

Minister Fakhr al-Dawla ibn Jahir al-Mawsili (d. 483 AH/1090 AD) "A study of his biography and administrative role under the Abbasid Caliphate during the fifth century AH/eleventh century AD "

قيس فتحي احمد الجحيشي*

وزارة التربية العراقية، مديرية تربية نينوى

qfah1976@yahoo.com.

تاريخ الإرسال: **2025-06-30** تاريخ القبول: **2025-11-30**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية فخر الدولة محمد بن جهير من خلال تتبع نشأته، وتكوينه العلمي، ومسيرته الإدارية، مع التركيز على دوره السياسي والمالي في إدارة الدولة وتوليه الوزارة، إضافة إلى تحليل موقفه من الأحداث الكبرى التي عصفت بالدولة العباسية في القرن الخامس الهجري، ومن خلال دراسة شخصية هذا الوزير، يمكن الإلمام بصورة أوضح حول طبيعة السلطة في العصر العباسي المتأخر، ودور الكفاءات الإدارية في مواجهة التحديات السياسية والعسكرية، مما يمنح الباحثين أداة لفهم أعمق لبنية الدولة العباسية في مرحلة حرجة من تاريخ الخلافة العباسية، حيث تراجعت السلطة المركزية وبرزت قوى بديلة، وتكمن أهميته كذلك في تسليط الضوء على دور الوزراء في تشكيل السياسة العامة، إلى جانب إسهامهم في إدارة شؤون الدولة بصورة فاعلة.

الكلمات المفتاحية: وزير ؛ فخر الدولة ؛ موصل ؛ خلافة عباسية ؛ سيرة .

Abstract:

This study aims to shed light on the personality of Fakhr al-Dawla Muhammad ibn Jahir by tracing his upbringing, academic background, and administrative career, focusing on his political and financial role in governing the state and his tenure as minister. It also analyzes his stance on the major events that swept the Abbasid state in the fifth century AH. By studying the personality of this minister, we can gain a clearer understanding of the nature of power in the late

* **- المؤلف المُراسل.**

Abbasid era.The role of administrative competencies in confronting political and military challenges provides researchers with a deeper understanding of the structure of the Abbasid state at a critical stage in the history of the Abbasid Caliphate, when central authority declined and alternative forces emerged. Its importance also lies in shedding light on the role of ministers in shaping public policy, in addition to their contribution to the effective management of state affairs.

Keywords: Minister; Fakhr al-Dawla; Mosul; Abbasid Caliphate; Biography .

مقدمة:

يُعد القرن الخامس الهجري من أكثر القرون الإسلامية اضطراباً وتحولاً في التاريخ السياسي للدولة العباسية،فقد شهد هذا العصر تراجعاً تدريجياً في سلطة الخلفاء العباسيين لصالح القوى العسكرية والإدارية، ولا سيما النفوذ البويهي ثم السلجوقي، وفي خضم هذه التحولات برزت شخصيات وزارية موصلية أدّت أدواراً محورية في تسيير شؤون الدولة ومحاولة حفظ توازنها، ومن بين هؤلاء الوزراء تميز فخر الدولة بن جهير بمكانة لافتة ومهارات سياسية عالية، جعلته أحد الرموز البارزة في بلاط الخلافة العباسية خلال تلك الحقبة.

لقد تقلد ابن جهير الوزارة في زمن دقيق من تاريخ الخلافة، حيث لم يكن الوزير مجرد موظف إداري، بل كان العقل المدبّر والسياسي الفعلي في كثير من الأحيان، خصوصاً مع ضعف الخلفاء وتزايد تدخل القوى العسكرية، فتصف ابن جهير بالحكمة والدهاء، وامتاز بإدارته المحكمة لشؤون الدولة، كما عرف بعلاقاته المتوازنة مع السلاجقة القوى الفاعلة آنذاك ، مما مكنه من الحفاظ على استقرار نسبي داخل أروقة الحكم.

ووفقا لذلك جاء عنوان البحث موسوماً(الوزير فخر الدولة بن جهير الموصلي(ت483هـ/1090م)" دراسة لسيرته ودوره الاداري في ظل الخلافة العباسية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي") حيث هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية هذا الوزير من خلال تتبع نشأته، وتكوينه العلمي، ومسيرته الإدارية، مع التركيز على دوره السياسي والمالي في تولي المناصب في ظل الظروف السياسية التي عاصرها في القرن الخامس الهجري حتى وفاته.

وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها الأصلية كالكتب التاريخية، وكتب التراجم والطبقات، وتحليلها واستنباط

الدلالات السياسية والإدارية من خلالها، كما يستند إلى المنهج الوصفي المقارن عند الحاجة، خاصة عند مقارنة دور ابن جهير بوزراء آخرين من عصره.

الوزير فخر الدولة بن جهير الموصلي(ت483هـ/1090م)

الأول: نسبه وأسرته ومكانته الاجتماعية:

ابن جهير واسمه أبو نصر محمد بن محمد بن جهير ولقبه فخر الملك مؤيد الدين الموصلي الثعلبي[1] ذكر ان الخليفة القائم بأمر الله (ت467هـ/1075م)[2] هو من لقبه بفخر الدولة بعد ان ولاه منصب الوزارة[3] وجهير لغةً: بمعنى: رجل جهير من الجهارة، أي بمعنى انه ذو منظر جميل، ويقال: رجل جهير الصوت، بمعنى جهوري الصوت[4]

(1)ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد،(2001م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة ، ص201 ،202؛ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ،(ج1،2،3: 1900م،ج5:1994)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5، ص127؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (1987)،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى،ط1، دار الكتاب العربي، بيروت،ج33، ص118، 119؛ الزركلي، خير الدين بن محمود ،(2002م)،الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت،ج7، ص22.

(2) **القائم بأمر الله:** أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أمه اسمها بدر الدجى، ولد سنة (387هـ/997م) وبويع بالخلافة عقب موت أبيه القادر في شهر ذى الحجة سنة (422هـ/1030م)، استمر بالخلافة حتى وفاته سنة (467هـ/1074م) وعمره ست وسبعون سنة ، ومدة خلافته أربع وأربعون سنة . ينظر: ابن العمراني، الإنباء، ص 188-200؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،(1992م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ج15، ص 216-220؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري،(1985م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت،ج1، ص335،334.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص121.

(4) ابن خلكان، وفيات ، ج5، ص133؛ ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد،(1986م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت،ج5، ص358.

ولد ابن جهير بالموصل سنة(398هـ/1007م) وبها عاش[1] وفيها تلقى تعليمه الاول، حيث اخذ العلم عن مشايخها، وعرف عنه الذائقة الشعرية حيث ذكر انه سمع من أبي العلاء بن سليمان الشاعر والكاتب والاديب وروى عنه [2] تزوج ابن جهير من ابنة أبي العقارب[3] وله منها من الأولاد الثلاثة وهم عميد الدولة أبو منصور محمد بن محمد (ت493هـ/1099م)، وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي بن محمد(ت507هـ/1113م) ، والكافي أبي البركات بن جهير[4]

عاش ابن جهير حياة بسيطة بالموصل فأسرته كانت من الاسرة المتواضعة اقتصادياً وعلمياً قبل ان يصبح من الاغنياء، وهذا ما اشار اليه ابن الطقطقي حين ذكر انه :" كان في ابتداء أمره فقيراً مدقعاً وترامت به الأسباب، فمن مبادئها: أنه كان جالساً بالكوخ يوماً، فعبر عليه غسال ممن يغسل بالخربات ومعه فصوص عتق قد استحالت ألوانها، فاشتراها منه بثلاثة دنانير وجلا بعضها، فخرج أحدها ياقوتا أحمرا، وخرج الآخر فيروزجا جيداً فصاغ لكل واحد منهما خاتماً من ذهب ، تقلبت به الأمور حتى مضى في رسالة إلى ملك الروم فأهدى إليه الخاتمين، فأعطاه عشرين ألف دينار، فكانت أصل غناه ونعمته" ثم زادت امواله عندما عمل عند بني مروان فذكر ابن الطقطقي:" ثم تنقل في الخدمات حتى اتصل بابن مروان صاحب ديار بكر فخدمه مدة وأثرى عنده ثروة ضخمة" [1]

بينما ذكر الذهبي ان سبب كثرة ماله انه عمل بالتجارة، ومنها كسب ماله قبل ان يتركها فذكر: " وسعى للمناصب، فأقام الهيبة، وأكثر العطاء والبذل" [2] وربما ان كلام الذهبي هو الاصوب في ان عمله في التجارة ما اكسبه كثرة المال، اما كونه مبعوثا الى ملك الروم لم يتم الا بعد ان تقرب من الامارة العقيلية في الموصل وأمرائها بعد ان اشتهر وعمل في المناصب وذاع صيته ورجاحة عقله، ودليل انه امتهن التجارة وله اموال كثيرة ما ذكره ابن العمراني عن بداء

(1) ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص290؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج1، ص113،ج5، ص131؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد،(1996م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص5؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص416.

(2) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ،(د.ت)، بغية الطالب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق،ج3، ص1280.

(3)ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني،(1997م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،ج8، ص335.

(4) العمراني، الإنباء ، ص201 ،202؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص121.

حياته فقال:" ولم يكن كما سمع عنه ولا كان فيه فضل ولا كفاية وإنما ستر نقصه بكثرة المال فإنه فرق في مدة قريبة سبع مائة ألف دينار"[3]

ويبدو من خلال ما ذكره ابن العمراني ان ابن جهير وفي سبيل تحقيق غايته في التقرب من الحكم ورفع مكانته بين الناس، انه كان يبذل المال وينفقه في سبيل تحقيق تلك المكانة الاجتماعية العالية فذكر عنه انه :" انصرف إلى حواشي داره وخدمه ثم إلى العسكر الواردة إلى حضرته ثم إلى الشعراء والقضاة والطارقين من أهل العلم وغيرهم" ثم ذكر ان ما ظهر منه من الأنفاق للأموال إنما أظهرها ببغداد بعد انفصاله عن ديار بكر" [4]

ووصفته المصادر التاريخية التي ترجمت له بصفات حميدة عديدة فذكره ابن خلكان بقوله:" كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير وكان رئيساً جليلاً، خرج من بيتهم جماعة من الوزراء والرؤساء، ومدحهم أعيان الشعراء" [5] وذكره ابن الطقطقي فقال :" كان فخر الدولة من عقلاء الرجال ودهاتهم" [6]

واشار اليه الذهبي بالقول:" الوزير الأكمل، كان جواداً، ممدحاً، فاضلاً، مهيباً، من رجال العالم، عاش نيفاً وثمانين سنة " وقال ايضاً: " كان من رجال العالم حزم ودهاء ورأي، سعى إلي أن قدم بغداد، وتوصل إلى أن ولي الوزارة للخليفة القائم بأمر الله سنة (454هـ/1062م)" [7] وذكره الصفدي :" انه من رجالات العالم والحزم والدهاء والرأي " [8]

---

(1) ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا،(1997م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت،ص283.

(2) تاريخ الإسلام،ج33، ص118 ،119.

(3) الإنباء ، ص201 ،202.

(4) العمراني، الإنباء ، ص201 ،202. **دياربكر:** هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر ابن وائل، تمتد حدودها من غرب نهر دجلة إلى نصيبين ، ومنها حصن كيفا وآمد وميافارقين وغيرها. ينظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله الحموري،(1995م)،معجم البلدان، ط2، دار صادر ، بيروت،ج2، ص494.

(5) وفيات الأعيان،ج5، ص127 ،128؛ ابن العماد ، شذرات الذهب،ج5، ص355.

(6) الفخري ، ص283؛ الذهبي، سير ،ج18، ص608.

(7) تاريخ الإسلام،ج33، ص119،118؛ الذهبي،(1984م)،العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط2،الكويت،ج3، ص306.

(8) الوافي ،ج1، ص111.

ترك ابن جهير مدينته الموصل وسكن بالعديد من المدن وسبب ذلك تعدد الوظائف التي تولاها حيث انتقل إلى حلب، ثم إلى مدينة آمد[1] ومنها [2] قصد مدينة بغداد حيث سكن في باب العامة[3]

ثانياً- اتصاله بالأمارة العقيلية بالموصل وبداية طموحه السياسي:

أدرك فخر الدولة ابن جهير أن طموحه كبير ويتعدى ممارسة التجارة وكسب المال ورغبته تتعدى كونه تاجرا بسيطا أو غنيا له المال، حيث كانت تحدث له نفسه بالطموح للوصول إلى أعلى درجات السلم السياسي من خلال تولي المناصب والوظائف التي يشعر أنها تليق به وأنه يجد نفسه فيها ، فكان أول محاولاته لتحقيق طموحه السياسي هو التقرب من أصحاب القرار في مدينته التي عاش فيها وهي الموصل فاشرف أول أمره على أملاك جارية قرواش[4] المعروفة بسرهنك [5] ثم صحب فخر الدولة قراوش بن المقلد، وأصبح قريب منه[6] حتى أنه كان يعتمد عليه بالعديد من الامور ومنها أنه أرسله رسولاً إلى ملك الروم في القسطنطينية ، وحمل معه الهدايا لطلب وده ، وصادف ابن جهير في رحلته تلك برسول

(1) **آمد:** مدينة حصينة من مدن ديار بكر تقع قرب مدينة ميافارقين الى الشرقي من نهر دجلة، فتحت سنة (20هـ/640م). ينظر: الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد،(1937م)، مسالك الممالك ، مطبعة بريل، ليدن،ص75؛ ياقوت الحموي، معجم ،ج1، ص56 ،57.

(2) الزركلي،الأعلام،ج7، ص22.

(3) ابن الجوزي، المنتظم،ج17، ص206.

(4) **قرواش:** أبو المنيع قرواش بن المقلد بن المسيب بن رافع العقيلي ، تولى الحكم بعد مقتل أبيه سنة(391هـ/1000م)،عرف بالعقل والحكمة، له شعر حسن، حكم الموصل، والكوفة، والمدائن، لقبه الخليفة القادر بالله سنة(396هـ/1005م) بمعتمد الدولة ، توفي سنة (443هـ/1051م) ودفن بتل توبة بالموصل. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ،ج 1، ص327؛ ابن الاثير، الكامل،ج8، ص 105؛ ابو الفداء، المختصر ،ج 2، ص 172؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ،ج30، ص48 ،49؛ الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد،(2000م)، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، دار صادر، بيروت،ج 3، ص198 ،199؛ابن العماد ، شذرات ،ج 5، ص227؛ الزركلي، الأعلام ،ج5، ص194.

(5) ابن الاثير، الكامل ،ج8، ص335.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص120؛ ابن الوردي، تاريخ ،ج2، ص5.

الأمير نصر الدولة بن مروان [1] حاكم مياه فارقين [2] فتقدم فخر الدولة عليه، فنازعه رسول ابن مروان، فقال فخر الدولة لملك الروم:" أنا أستحق التقدم عليه لأن صاحبه يؤدي الخراج إلى صاحبي"، فاعجب به ملك الروم لجسارته وحكمته، فلما عاد فخر الدولة إلى الموصل وجد أن الأمير بركة [3] قبض على أخيه قراوش وحبسه، كما وجد أن قريش بن بدران [4]

(1) **نصر الدولة بن مروان :** أبو نصر أحمد بن مروان الكردي ، لقبه الخليفة القادر بالله بنصر الدولة، وفد إليه الشعراء، وسكن عنده العلماء والزهاد، توفي سنة(453هـ/1061م)،كانت إمارته اثنتين وخمسين سنة. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص70، 71؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج30، ص337-339؛ ابن الوردي، تاريخ ،ج1، ص355؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي،(1988م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ج12، ص107.

(2) **ميّافارقين:** كلمة مركبة من مقطعين: " ميا " اسم الأودية، و" فارقين " اسم امرأة ، فكأنهم قالوا: " أودية فارقين " وهي مدينة آرامية تعد من اهم مدن الجزيرة و ديار بكر، قريبة من مدينة آمد ، تقع أعلى نهر دجلة، فتحها المسلمون سنة (18هـ/639م). ينظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي،(1403ه)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3،عالم الكتب، بيروت،ج4، ص1286؛ ياقوت الحموي، معجم ،ج5، ص325-329.

(3) **بركة بن المقلد:**، أبو كامل بركة بن المقلد بن المسيب العقيلي، يلقب بزعيم الدولة، كان من الامراء الشجعان ، شارك أخيه قرواش حكم الموصل، فتحكم بها، فاستاء قرواش وأراد الانحدار إلى بغداد، فمنعه زعيم الدولة بركة وحجر عليه في دار الامارة بالموصل سنة(442هـ/1050م) توفي بتكريت سنة (443ه/1051م)، واجتمع كبراء الدولة على تولى ابن أخيه قريش بن المقلد الحكم، فلما تولى قريش نقل عمه قرواش إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل، فاعتقله بها حتى وفاته سنة(443ه/1051م). ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج 8، ص98؛ ابو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود الايوبي،(د.ت)،المختصر في أخبار البشر(يعرف بتاريخ ابو الفداء)، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ،ج2، ص171؛ الزركلي، الأعلام ،ج2، ص49.

(4) **أبو المعالي قريش** بن بدران بن مقلد بن المسيب العقيلي، حاكم الموصل له، استمرت امارته عشر سنين، عمر خلالها الثغور وضبطها، ورخصت الأسعار زمنه، ووفد إليه الشعراء، وأقام عنده العلماء والزهاد، مات بالطاعون في نصيبين سنة (453ه/1061م) وله إحدى وخمسون سنة، وقام بعده ابنه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش. ينظر: ابن الاثير، الكامل ،ج 8، ص 174 ،175؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج30، ص 348؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ،(2000م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، دار إحياء التراث، بيروت،ج 24، ص178؛ ابن الوردي، تاريخ ،ج 1، ص 355؛ ابن العماد ، شذرات ،ج5، ص 227؛ الزركلي، الأعلام،ج5، ص195.

ينتظره للقبض عليه لحبسه فاستجار فخر الدولة بأبي الشداد أحد أمراء عقيل فأجاره ، مما اضطره بسبب ذلك للرحيل عن الموصل وسار إلى حلب [1] وأشار ابن خلدون إلى ذلك فذكر أنه :" اتصل بخدمة بني المقلد ثم استوحش من قريش بن بدران واستجار ببعض رؤساء بني عقيل فأجاروه منه، ومضى إلى حلب" [2]

ورغم البعد عن الموصل نلاحظ أن ابن الجهير كان له حظوة ونفوذ عند بني مقلد، فذكر ابن الأثير أنه عندما سمع فخر الدولة بوفاة الأمير قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين[3] سنة (453هـ/1061م):" سار من دارا [4] إلى نصيبين، وجمع بني عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش[5] عليهم، وكان القائم بأمرهم جابر بن ناشب، فزوجه فخر الدولة بأخت مسلم، وزوج مسلماً بابنة نصر بن منصور" [6]

وذكر ابن خلدون " قدم فخر الدولة من دارا وجمع بني عقيل على ابنه أبي المكارم مسلم بن قريش فولوه عليهم، واستقام أمره وغيرها من البلدان الاخرى" [7] وهذا ما يثبت مكانته الرفيعة عندهم رغم مغادرته للمدينة.

---

(1) ابن الاثير، الكامل ،ج8، ص335؛ أبو الفداء ، المختصر ،ج2، ص199 ،200.

(2)ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي،(1988م)، تاريخ ابن خلدون ، تحقيق: خليل شحادة ، ط2، دار الفكر ، بيروت ،ج4، ص345.

(3) **نصيبين**: مدينة تقع أقصى شمال الجزيرة الفراتية، وشرقي نهر دجلة على طرق القوافل التجارية المارة من الموصل إلى حلب، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، فتحها المسلمون سنة (20هـ/640م) . ينظر: ياقوت الحموي، معجم ،ج5،ص288 ،289؛ البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق،(1412هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت،ج3، ص1374.

(4) **دارا:** وهي بلدة من بلاد الجزيرة الفراتية تقع في لحف جبل بين نصيبين وماردين، عرف عنها انها ذات بساتين ومياه جارية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم ،ج2، ص418.

(5) **شرف الدولة:** أبو المكارم مسلم بن قريش بن بدران العقيلي، حكم الموصل وديار ربيعة ومضر، ولي بعد وفاة أبيه سنة (453هـ/1061م)، استولى على قلعة حلب، وأخذ الإتاوة من بلاد الروم، وافتتح حران، ودانت له البادية، كان يجيد نظم الشعر، له سطوة وسياسة وعدل بعنف، عمر سور الموصل وشيدها، قتل سنة(478هـ/1085م) وله بضع وأربعون سنة، تماك بعده أخاه إبراهيم. ينظر: الذهبي، (1413هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة ، بيروت، سير ،ج18، ص482 ،483؛ الزركلي، الأعلام ،ج7، ص222.

(6) الكامل،ج8، ص174.

(7) تاريخ ،ج4، ص343.

ثالثاً- رحلة فخر الدولة بن جهير لمدينة حلب ووزارته لمعز الدولة ثمال بن مرداس:

أدرك فخر الدولة غنه لم يعد له مكان بالموصل ، بعدما حدث له من الجفوة والوحشة من زعيم الدولة بركة بن المقلد العقيلي مما أضطره للرحيل عنها الى مدينة حلب حيث كان يحكمها معز الدولة ثمال بن صالح [1] بن مرداس[2] فما أن وصلها حتى رحب به أميرها وقربه إليه بسبب ما عرف عنه من السمعة والشهرة والمعرفة ، واستعمله في الادارة فجعله ناظر ديوان حلب [3] وهذا ما اشار إليه أبو الفداء فقال :" وانتقل إلى حلب، فجعل ناظراً لديوانها" [4]

ويبدو أن الأمير معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس لما وجده ضابطاً للديوان وحسن العمل متقن لها زاد من مكانته ورفع من شأنه بأن ولاه الوزارة [5] فذكر ابن الأثير:" وسار إلى حلب، فوزر لمعز الدولة ثمال بن صالح" [6] وكان ذلك بعدما أظهر من حسن العمل والاتقان والضبط لأمور عمله كما أشرنا سابقاً، ففوض معز الدولة أموره جميعها إليه، فضبط أمواله واستقامت أمارته.

ويبدو أن ذلك القرب من الأمير والمكانة الكبيرة التي وصل إليها ابن جهير عنده، كان سببا في حسد الحاسدين له، والسعي به لعزله عن الوزارة ، وكان من ممن سعى لعزله سديد الدولة أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الرعباني الرحبي الذي كان يرغب بأن يتولي الوزارة بدلا عنه، وكان معز الدولة بن مرداس له وفاء وذمة فنبهه على ما سعي به عليه، عندها أدرك فخر الدولة أن الاقامة في حلب أصبحت صعبة بسبب الخوف من الفتنة والغدر،

---

(1) **ثمال بن صالح :** معز الدولة أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي من ملوك الدولة المرداسية بحلب، كان كريماً حليماً شجاعاً، ولد في شعبان سنة (463هـ/1070م)، ولي الحكم سنة(434هـ/1042م)، توفي في ذي القعدة سنة (454هـ/1062م)، وقام أخوه عطية مقامه. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص77؛ الصفدي، الوافي ،ج11، ص14،13؛ الزركلي، الأعلام ،ج 2، ص100.

(2) ابن خلدون، تاريخ،ج4، ص416؛ ابن العماد ، شذرات ،ج5، ص355.

(3) ابن خلكان، وفيات ،ج5، ص128؛ الذهبي، سير ،ج18، ص608؛ الصفدي، الوافي ،ج1، ص111.

(4) المختصر ،ج2، ص196.

(5) أبو الفداء ، المختصر ،ج2، ص199 ،200؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص345.

(6) الكامل ،ج8، ص335.

فاستأذن الأمير معز الدولة بن مرداس في المفارقة والرحيل عن حلب فوافق على ذلك حرصاً عليه ، فسار مرتحلاً من حلب سنة (446هـ/1054م)، فما أن عزل ابن جهير عن الوزارة ورحل عن حلب حتى ولى معز الدولة بن مرداس وزارته لسديد الدولة أبي القاسم هبة الله الرعباني الرحبي، الذي كان مقرباً من المستنصر الفاطمي (ت487هـ/1094م) ومدعوماً منه فبعد أن تولى الوزارة بوقت قصير نجده يسلم مدينة حلب إلى المستنصر الفاطمي،ثم يسافر إلى مصر ويلتقي بالمستنصر، حيث ولاه وزارة مصر مكافئة له غير أن ذلك لم يدم طويلاً حيث عزله، ثم أعاده إلى الولاية فأقام فيها مدة قصيرة من الزمن [1]

رابعاً- انتقاله لمدينة آمد وتوليه الوزارة لبني مروان حكام ميافارقين وديار بكر:

بعد رحيل فخر الدولة بن جهير عن مدينة حلب وتركه للوزارة بسبب الحسد والبغض الذي تعرض له لمكانته عند معز الدولة ثمال بن مرداس صاحب حلب، انتقل إلى مدينة آمد، فاتصل بالأمير نصر الدولة أحمد بن مروان[2] فاستوزره لما كان قد عرف عنه من المكانة والحكمة ورجاحة العقل وصواب الرأي ، فعمر بلاده وأصلح حال دولته[3] فوزر له ثم وزر لولده نظام الدين نصر بن احمد[4] وذكر ابن الأثير أن ابن جهير لما قدم إلى ابن مروان، قال له:" كيف أمنتني وقد فعلت برسولك ما فعلت عند ملك الروم؟ فقال: حملني على ذلك نصح صاحبي، فاستوزره، فعمر بلاده، ووزر بعد نصر الدولة لولده" [5]

وأشار ابن خلكان إلى وزارة فخر الدولة بن جهير لبني مروان فقال :" انتقل إلى آمد، وأقام بها مدة طويلة بطالاً، ثم توصل إلى أن وزر للأمير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر وكان نافذ الكلم مطاع الأمر، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي نصر الدولة ، وقام بالأمر ولده نظام الدين نصر بن أحمد، فأقبل عليه وزاد في إكرامه فرتب أمور دولته وأجراها على الأوضاع التي كانت في أيام أبيه" [6]

---

(1) ابن العديم، (1996م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،ص152.

(2) الزركلي، الأعلام،ج7، ص22.

(3) ابن الاثير، الكامل ،ج8، ص335؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص416.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب ، ص212؛ الذهبي، سير ،ج18، ص608 ؛ الصفدي، الوافي ،ج1، ص111.

(5) الكامل ،ج8، ص335.

(6) وفيات ،ج5، ص128.

وذكر الذهبي عن وزارة ابن جهير لأمير نصر الدولة بن مروان فقال :" كاتبه ابن مروان صاحب ديار بكر، فورد عليه ووزر له في أول سنة (446هـ/1064م)، وذلك في آخر أيام ابن مروان، فاستولى أبو نصر على الأمور، ووصل إلى ما لم يصل إليه غيره بشهامته وإقدامه على صعاب الأمور، فأقام الهيبة، وأكثر العطاء والبذل، وكاتبه ملوك الأطراف بالشيخ الأجل الناصح كافي الدولة، ومدحه الشعراء، وقصده العلماء" [1] وذكر ابن الطقطقي:" ثم تنقل في الخدمات حتى اتصل بابن مروان صاحب ديار بكر فخدمه مدة وأثرى عنده ثروة ضخمة" [2]

أصبح لفخر الدولة بن جهير مكانة عالية وكبيرة عند نصر الدولة بن مروان ولعب دوراً كبيراً في تنظيم أمارته وأصبح له قدم السبق عند بني مروان ومن ذلك تدخله في ترشيح من يتولى حكم الأمارة وهذا ما حدث سنة (453هـ/1061م) عندما توفي نصر الدولة بن مروان ،حيث اتفق وزيره فخر الدولة وابنه نظام الدين نصر، على نقل الحكم اليه بمساعدة فخر الدولة ، فرتب نصراً في الملك بعد أبيه، وناصره ضد إخوته وخلال حربه مع أخيه سعيد حتى استقام له الامر واستقر في حكم الإمارة [3]

خامساً- رحيله عن الأسرة المروانية وتوليه الوزارة للخلافة العباسية ببغداد.

بالرغم من المكانة التي وصل إليها فخر الدولة بن جهير عند حكام الاسرة المروانية إلا أنه شعر بخطر إخوة نظام الدين نصر بن مروان، الذي تولى حكم الإمارة المروانية بدعمه وترشيه وتفضيله على إخوته، ومناصرته في حربه ضد إخوته كلاً من سعيد، وأبو الفوارس الراغبين بالأمارة أيضاً، وبسبب ذلك شعر فخر الدولة بضرورة الحذر والاستعداد الرحيل عنهم، فكان أول عمل قام به أنه نقل أمواله إلى جهة آمنة تحفظها له لحين تهيئة الفرصة له للرحيل[4]

ولم تذكر المصادر أين نقل تلك الأموال التي من خلال سياق الاحداث وما أنفق فيما بعد يتبين أنها أموال كثيرة جداً حتى أنه طلب الوزارة لنفسه ببغداد من خلال انفاق الأموال، وهذا ما قد يؤشر على أنه نقل أمواله لمدينة بغداد التي كانت مقصده.

(1) تاريخ الإسلام،ج33، ص118-119.

(2) الفخري ، ص283.

(3) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص174.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص118-119.

فذكرت المصادر التاريخية أنه :" كاتب القائم في وزارته، وبذل له ثلاثين ألف دينار" وأنه اتفق مع طراد النقيب[1]، ليظهر على أنه يحمل رسالة من قبل الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى الامير نصر بن مروان، وعندما سلم طراد الرسالة وغنهى مهمته ورغب بالرجوع ، خرج معه فخر الدولة بغية مصاحبته لتوديعه خارج ميافارقين، فاستغل فخر الدولة ذلك وصحبه إلى بغداد، ومعه ولداه عميد الدولة أبو منصور محمد، وزعيم الرؤساء أبو القاسم، فتلقاه أرباب الدولة ووزر للقائم ولقبه فخر الدولة[2]

وأشار ابن الاثير خبر ذلك الأمر في أحداث سنة (454هـ/1062م) فذكر :" كان فخر الدولة ، وزير نصر الدولة بن مروان، قد أرسل يخطب الوزارة، وبذل فيها بذولا كثيرة، فأجيب إليها، وأرسل طراد الزينبي إلى ميافارقين كأنه رسول، فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له، فتمم السير معه، وخرج ابن مروان في أثره، فلم يدركه، فلما وصل إلى بغداد خرج الناس إلى استقباله، وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة، ولقب فخر الدولة، واستقر في الوزارة، ومدحه الشعراء" [3]

وذكر ابن خلكان:" ثم خطر له التوجه إلى بغداد، فعمل على ذلك، وكان يكاتب الإمام القائم بأمر الله، ولم يزل يتوصل ويبذل الأموال حتى خرج إليه نقيب النقباء طراد الزينبي، فقرر معه ما أراد تقريره ثم خرج لوداعه، ويمم إلى بغداد، وأرسل ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه"[4] وهذا ما أشار إليه ابن خلدون أيضاً عندما ذكر أنه احتال بالخروج فقال:" فتحيل في المسير إلى بغداد، واتبعه ابن مروان فلم يدركه"[5]

---

(1) **طراد النقيب:** طراد بن محمد بن علي بن الحسن ، ولد سنة (398هـ/1007م)، كان متديناً صالحاً، يحضر مجلسه المحدثين والفقهاء، ولي نقابة العباسيين سنة(453هـ/1061م) فكان أعلى الناس منزلة عند الخليفة، فأرسله مبعوث إلى العديد من الحكام، توفي سنة (492هـ/1098م) وقد جاوز التسعين، ودفن في داره بباب البصرة، ثم نقل إلى مقابر الشهداء فدفن بها. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم ، ج17، ص43 ،44؛ الذهبي، سير ،ج19، ص37؛ الصفدي، الوافي ، ج16، ص240 ،241؛ اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي،(1997م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،ج3، ص117.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص118، 119.

(3) الكامل،ج8، ص179، 180.

(4) وفيات ،ج5، ص127، 128.

(5) تاريخ ،ج4، ص345.

ومن خلال سياق الكلام السابق نرى أن كل ما حدث من زيارة طرواد النقيب وحمله للرسالة كان باتفاق مسبق بين الاثنين بدليل نقله للمال وأنه كان قد استعد للرحيل مع أبنائه وأسرهم و دون علم أحد لخشية انفضاح الأمر وتبيان وسيلته لمغادرة ميافارقين التي هي بمثابة الهروب من إخوة الغمير نصر المرواني ، وكذلك رغبة داخلية عند فخر الدولة على أنه يستحق منزلة أكبر ووزارة غعظم من التي كان عليها.

1- وزارة فخر الدولة بن جهير للخليفة القائم بأمر الله العباسي:

أشارت المصادر التاريخية أن فخر الدولة قبل خروجه أو هربه عن الاسرة المروانية كان قد كاتب الخليفة القائم بأمر الله بشأن توليته الوزارة وأنه بذل في سبيل تحقيق ذلك ثلاثين ألف دينار أرسلها للخليفة ويبدو أن الخليفة قد وافق على ذلك لهذا خرج ابن جهير من ميافارقين متوجهاً لبغداد التي عندما وصلها كان في استقباله، أصحاب المناصب الرفيعة وأرباب الدولة، والتقى به القائم ومنحه الوزارة ولقبه فخر الدولة [1]

فذكر ابن الطقطقي:" فانحدر معه (أي مع الرسول) إلى بغداد، وكان قبل ذلك قد فرق أمواله بالبلاد وأنفذ منها شيئا إلى بغداد، فلما وصل الرسول إلى بغداد، وصحبته فخر الدولة، أرسل القائم إليه أصحابه يتلقونه، ثم خلع عليه خلع الوزارة، ونهض فخر الدولة بأمور الوزارة أحسن نهوض" [2] وقد ذكر الذهبي أنه كان يوم وصوله لبغداد كان في أحسن زي وأجمله،فلما وصل إلى بغداد استوزره وتقدم بلقب مؤيد الدين فخر الدولة، ورقي أرقى المراتب، وكان بنو مروان فيما بعد يفتخرون بأن وزيرهم ابن جهير، أصبح وزير خليفة ببغداد[3] وكان ذلك سنة (454هـ/1062م) حين عزل وزيره أبا الفتح محمد بن منصور بن دارست (ت467هـ/1074م)عن الوزارة وولها فخر الدولة مكانه [4]

وأشار ابن خلدون أن سبب عزل الخليفة القائم لوزيره ، أنه كان قد أحضره من الأهواز في منتصف ربيع من سنة (453هـ/1061م)، حيث كان من قبل تاجراً وعهد إليه بالوزارة

(1) ابن الوردي، تاريخ ،ج1، ص356؛ ابن كثير،البداية ،ج12، ص108.

(2) الفخري ، ص283، 284.

(3) تاريخ الإسلام،ج30، ص278، 279.

(4) ابن الجوزي، المنتظم،ج16، ص76؛ النويري، شهاب الدين أحمد عبدالوهاب،(2004م) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،ج23، ص134.

بشرط أن يحمل مالاً إليه فأجيب بالموافقة فاستوزره ،غير أن أبي الفتح بن دارست اظهر عجزه في استيفاء الأموال فعزله، وعاد إلى الأهواز[1]

عرف عن فخر الدولة أنه كان رئيساً جليلاً مدحه الشعراء منهم أبو منصور علي بن الحسين المعروف بصردر(ت465هـ/1072م)أنشد يمدح الوزير بن جهير لما تقلد الوزارة بقصيدة التي منها:

يا قالة الشعر قد نصحتكم ... وليس أدهى إلا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي ... ذاك أمور طويلة الشرح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف وجوها في غاية القبح
وتطلبون السماح من رجل ... قد طبعت نفسه على الشح
من أجل ذا تحرمون كدكم ... لأنكم تكذبون في المدح
صونوا القوافي فما أرى أحدا ... يعثر فيه الرجاء بالنجح
وإن شككتم فيما أقول لكم ... فكذبوني بواحد سمح
سوى الوزير الذي رئاسته ... تعرك أذن الزمان بالملح [2]
فقل لليالي كيف شئت تقلبي ... ففي يد عبل الساعدين أمورها
أماني في نفس الوزارة بلغت ... به كنهها حتى استحقت نذورها
لوت وجهها عن كل طالب متعة ... إلى خاطب حل عليه سفورها
إذا مثل الأقوام دون عرينه ... تساوى به ذو طيشها ووقورها
تكاد لما قد ألبست من سكينة ... ترف على تلك الرؤوس من طيورها [3]

2- عزله عن الوزارة وعودته إليها:

ذكرت المصادر التاريخية أن فخر الدولة تولى الوزارة للخليفة القائم سنة(454هـ/1062م) وتخللها العزل في بعض المرات إلى أن مات الخليفة القائم [4] ومن ذلك أن فخر الدولة عزل عن الوزارة سنة (460هـ/1067م)، بسبب خلاف جرى بينه وبين نظام

(1) تاريخ ،ج3، ص576.

(2) الصفدي، الوافي ،ج1، ص113.

(3) ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل،(1997م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ج2، ص6-10.

(4) ابو الفداء، المختصر ،ج2، ص199، 200؛ابن خلدون، تاريخ ،ج4،ص345.

الملك قوام الدين أبي عليّ الحسن (ت485هـ/1092م) وزير السلطان ملكشاه أبو الفتح محمد بن ألب أرسلان السلجوقي(ت485هـ/1092م) ومدبر سلطانه [1]

فذكر ابن العديم :"وفي ليلة الثلاثاء من ذي القعدة، خرج توقيع الخليفة إلى فخر الدولة بعزله ، ونزل من باب اليسرى وهو يبكي والعامة تبكي لبكائه" [1] فخرج من بغداد إلى نور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد(ت529هـ/1134م) الذي كان بالفلوجة، فشفع له عند الخليفة القائم، فأعيد إلى الوزارة في شهر صفر سنة(461هـ/1068م)[2]

وقد أشار ابن الجوزي إلى أسباب عزل ابن جهير عن الوزارة وعودته إليها مرة ثانية في أحداث سنة (460هـ/1067م) فقال :" وفي يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة خرج توقيع الخليفة إلى الوزير فخر الدولة بن جهير متضمنا بعزله ، وعددت فيه ذنوبه، فمنها: أنك تحضر باب الحجرة من غير استئذان، وقد قلت: ما يجب أن يدخل هذا المكان غيري، ومنها: أنك لبست خلع عضد الدولة في الدار العزيزة ، وقيل له: انظر إلى أي جهة تحب أن تقصدها لنوجهك لنوصلك إليها، فبكى في الجواب بكاء شديدا، وقلق قلقاً عظيماً، واعتذر عن كل ذنب بما يصلح، وقال: إذا رئي إبعادي فإلى حلة ابن مزيد 000 ثم أذن له في بيع غلاته والتصرف في ماله، وباع أصحابه ما لهم من الرحل والمتاع وطلقوا النساء، وظهر من الاغتمام عليه من جميع أهل دار الخليفة الأمر العظيم، وكانوا يحضرون عنده فيبكي ويبكون، وخرج غلمانه وأصحابه في يوم الخميس عاشر ذي القعدة، وقدم له وقت العتمة من ليلة الجمعة سميرية خالية من فرش وبارية، وجاء هو وأولاده حتى وقف عند شباك المدورة وظن أن الخليفة في الشباك، فقبل الأرض عدة دفعات وبكى بكاء شديدا، وقال: الله بيني وبين من ثقل قلبك علي يا أمير المؤمنين، فارحم شيبتي وأولادي وذلي وموقفي، وارع لحرمتي. فلما يئس نزل إلى دجلة معضدا بين نفسين وهو يبكي، والعامة تبكي لبكائه، وتدعو له فيرد عليهم ويودعهم، ثم أعيد إلى الوزارة بشفاعة دبيس بن مزيد" [3].

وزاد أيضاً في مسالة عودة فخر الدولة للوزارة وفرح الناس بها فقال:" وكان ابن جهير يواصل السؤال في العفو عن نفسه، وتكلمت القهرمانة في حقه، وبذل عنه خمسة عشر ألف دينار، فوقعت الإجابة، وأعفى من المال، وبعث حاجب الباب أبو عبد الله المردوسي

(1) ابن الطقطقى، الفخري ، ص283؛ الذهبي، سير ،ج18، ص 608.

ومعه خادمان لاستدعائه، فأقبل إلى بغداد في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وفرح الناس بمجيئه حتى صام بعضهم وتصدق آخرون "[4]

أعيد فخر الدولة إلى وزارة الخليفة في شهر صفر سنة (461هـ/1068م)، بشفاعة نور الدولة دبيس بن مزيد، فلما عاد أنشد الشعراء يوم عودته شعراً فرحاً بعودته ومنهم الشاعر ابن صردر الذي أنشد:

قد رجع الحق إلى نصابه ... وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلته... يد ثم أعادته إلى قرابه
تيقنوا لما رأوها ضيعة ... أن ليس للجو سوى عقابه
أن الهلال يرتجي طلوعه ... بعد السرار ليلة احتجابه
والشمس لا يؤيس من طلوعها ... وإن طواها الليل في جنابه
ذل لفخر الدولة الصعب الذرى ... وعلم الإمام من آدابه[5]

ولما عاد إلى الوزارة فرح الناس ،فيقال: إن سقاء ذبح ثوراً له لم يكن يملك غيره وتصدق بلحمه، فأعطاه الوزير بغلا بآلته، وأعطاه معه شيئا من الذهب [6] وبقي فخر الدولة بالوزارة إلى أن عزل في أول سنة (470هـ/1077م) في خلافة المقتدي [7]

3- وزارة فخر الدولة بن جهير للخليفة المقتدي بأمر الله وعزله بابنه عميد الدولة:

تولى الخليفة المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بوصية من الخليفة القائم بأمر الله الذي أوصى به قبل وفاته [8] سنة (467هـ/1074م) حيث أحضر الوزير فخر الدولة والقضاة وأشهدهم أنه جعل ابن ابنه عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم ولي عهده والخليفة

(1) بغية الطلب ،ج6، ص2754، 2755.
(2) ابن الاثير، الكامل ،ج8، ص214، 215؛ ابن كثير، البداية ،ج12، ص118، 119.
(3) المنتظم ،ج16، ص106، 107.
(4) ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص111-113.
(5) الصفدي، الوافي ،ج1، ص112، 113؛ النويري، نهاية الأرب،ج23، ص136.
(6) ابن الطقطقى، الفخري ، ص283، 284.
(7) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص120.
(8) الصفدي،الوافي ،ج1، ص111؛ الذهبي، سير ،ج18، ص319.

من بعده [1] فلما توفي استخلف أبي القاسم عبد الله وكان ذلك يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة(467هـ/1074م) ولقب بالمقتدي بأمر الله،وأخذ البيعة له الوزير فخر الدولة بن جهير[2] ولما استخلف أقر فخر الدولة على وزارته بوصية من جده القائم بالله [3]

وذكر ابن الجوزي تولية فخر الدولة الوزارة للخليفة المقتدي بأمر الله السنة (467هـ/1074م) فقال:" وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب، فصد[4] الخليفة القائم، فنام بعد الفصد فأنفج فصاده وانتبه، وقد مضت القوة ووقع اليأس منه وكثر الإرجاف به، وماج الناس واختلطوا، ونقلوا أموالهم من الحريم إلى دواخل الدار وإلى الجانب الغربي، وخيف من العيارين، وكانوا يقامرون ويقترضون على موت الخليفة لينهبوا، فلما أحس الخليفة بانقراض المدة استدعى عدة الدين(المقتدي) وقال له: يا بني، قد استخدمت في أيامي ابن أيوب محمد بن أيوب المراتبي(ت448هـ/1056م) وابن المسلمة (أبو الفتح المظفر بن علي(ت491هـ/1097م) وابن دارست (أبا الفتح محمد بن منصور بن دارست (ت467هـ/1074م) وابن جهير، فما رأيت أصلح للدولة من ابن جهير وولده، فلا تعدل عنهما، فقبل يده وبكى بين يديه، وأحضرت الدواة وكتب القائم بأمر الله رقعة بذاك إليه" [5] وعندما أقر فخر الدولة على وزارته بوصية الخليفة القائم، بعث ابنه عميد الدولة إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة للمقتدي بأمر الله في شهر رمضان من سنة (467هـ/1074م)، وبعث معه الهدايا [6]

استمر فخر الدولة يدير أمر الوزارة للخليفة المقتدي بالله بعد توليه الخلافة مدة عامين، ثم عزله عنها في حدود سنة(470هـ/1077م) [7] وقيل سنة (471هـ/1078م) [1] بسبب

(1) ابن خلدون، تاريخ ،ج3، ص584.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،ج16، ص165؛ ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون الملطي،(1992م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت،ج1، ص186.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج31، ص29،28؛ الصفدي، الوافي ،ج1، ص111.

(4) فصد: وهو قطع العرق حتى يسيل. ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني،(1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت،ج4، ص507.

(5) المنتظم ،ج16، ص161-163.

(6) ابن خلدون، تاريخ ،ج3، ص584.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص118، 119.

الخلاف الذي حصل بين فخر الدولة والوزير نظام الملك فذكر الذهبي: " إن السعاة سعت بينه وبين نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي ، فكلف النظام السلطان أن يكتب إلى الخليفة يطلب منه أن يعزل ابن جهير فعزله" [2]

وأشار ابن الاثير أن سبب الخلاف الذي حصل بينهم كان بسبب الشيخ أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت514هـ/1120م)الذي قدم إلى بغداد سنة(469هـ/1076م) للوعظ، وجرى له الفتن مع الحنابلة، لأنه ناصر أصحاب المذهب الاشعري، وكثر أتباعه والمتعصبون له, فثار الحنابلة ومن تبعهم وقتلوا جماعةً من المتعصبين للقشيري ، وحدث بينهم مشاكل وتضارب بين مناصري الطرفين، فكتب أبو الحسين محمد بن علي بن أبي القصر الواسطي الفقيه الشافعي إلى نظام الملك يشكو من ذلك شعراً فقال:

يا نظام المُلك قد حلّ ببغداد النظامُ ... وابنك القاطن فيها مستلانٌ مستضام
وبها أودى له قتلى غلام فغلام ... والذي منهم تبقّى سالماً فيه سهام
يا قوام الدين لم يبق ببغداد قوامُ ... عظُم الخَطْب فللحرب اتصالٌ ودوام
فمتى لم يحسم الداء بأيديك الحسام ... ويكفّ القوم في بغداد قتلٌ وانتقام
فعلى مدرسة فيها ومنْ فيها السلام ... واعتصام بحريمٍ لك من بعْد حرام [3]

ونسب حدوث تلك الفتنة إلى الوزير فخر الدولة الذي قيل أنه كان مناصراً للحنابلة ضد القشيري وأتباعه، فارسل نظام الملك إلى بغداد بوصية للخليفة المقتدي بعزل فخر الدولة من الوزارة، وأمر بالقبض على أصحابه [4] وطلب من أبي نصر بن القشيري الرحيل عن بغداد والقدوم إليه, فلما وصل إليه أكرمه وأمره بالرجوع إلى وطنه نيسابور والخروج من بغداد لإطفاء الفتنة[5] وذكر ابن الجوزي :" أنه جاءت رسالة من السلطان مشتملة على كراهية الوزير فخر الدولة والمطالبة بعزله، وأن لا ينفذ إلى خراسان رسول من دار الخلافة

(1) ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص198، 199؛ ابن الاثير، الكامل ،ج8، ص267.
(2) تاريخ الإسلام،ج33، ص120.
(3) الكامل،ج8، ص261، 267.
(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(1952م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة ، مصر، ص365؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج3، ص585.
(5) ابن الجوزي، المنتظم،ج17، ص190؛ الصفدي، الوافي ،ج19، ص147.

... لما عرف محمد بن محمد بن جهير ما عليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الإذن في ملازمة داره فأذن له ... وأقام الوزير في داره، وجعل ولديه أبي القاسم وأبا البركات ينظران في الأعمال" [1] ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري (ت488هـ/1095م) الذي لم تدم وزارته كثيراً [2] لأن عميد الدولة بن فخر الدولة قصد الوزير نظام الملك يسترضيه إلى أن رضي عنهم بشرط أن يكون عميد الدولة وزيراً بدلاً عن والده فوافق فارسل نظام الملك يشفع إلى الخليفة بن جهير وأن يجعل ابنه عميد الدولة دون أبيه في الوزارة وذلك في شهر صفر سنة(472هـ/1079م) [3]

وذكر ابن الجوزي :" أن عميد الدولة لما وصل إلى العسكر وجد من النظام التغير الشديد... ثم أن عميد الدولة تلطف بصبره وبوصله إلى أن استسل ما في نفس نظام الملك واستعاده إلى المألوف منه، فأنفذ فرسين بعدتهما وعشرين قطعة ثياباً للوزير فخر الدولة إظهاراً لرجوع المودة إلى حالها المعهود، وقضى له كل حاجة، وزوجه بابنته، وقدم إلى بغداد " [4] وما دليل ذلك إلا على حسن التصرف الحكمة التي اتصف بها عميد الدولة بحيث تمكن من إزالة ذلك الخلاف بل عمق أواصر المودة مع الوزير نظام الملك بأن زوجه بأبنته بعدما وجد فيه الكفاية ورجاحة العقل والتدبير والشجاعة.

أعاد الخليفة المقتدي بأمر الله إلى جهير للوزارة مدة [5] غير أنها لم تكن بالمدة الطويلة حيث ذكرت المصادر أن فخر الدولة خرج من بغداد في سنة (476هـ/1083م) متوجهاً إلى جهة السلطان ملكشاه الذي استدعائه وولاه الولاية [6]

4- اعمال الوزير فخر الدولة بن جهير وجهوده الادارية ببغداد:

ذكرت المصادر التاريخية التي تحدثت عن فخر الدولة بن جهير ودوره في الوزارة للخلفاء العباسيين أنه كانت له بصمة واضحة في خدمة الخلافة العباسية والوزارة بشكل خاص وأنه

(1) المنتظم ،ج16، ص198، 199.

(2) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص261.

(3)ابن كثير، البداية ،ج12، ص146؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص365.

(4) المنتظم ،ج16، ص198، 199.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج33، ص118، 119.

(6) ابن العمراني، الإنباء، ص201 ،202؛ ابن خلكان، وفيات ،ج5، ص128.

اضاف إليها كثيرا من قوة شخصيته وحكمة تدبيره حتى وصل إلى أعلى درجات القرب من الخلفاء الذين خولوه بالقيام بالعديد من المهام بخلاف غيره من الوزراء السابقين وهذا ما سوف نلتمس من خلال ما ذكرته المصادر التاريخية عنه وعن جهوده في خدمة الخلافة العباسية.

1- إعادة الخطبة للخلافة العباسية في العديد من المناطق:

تمكن فخر الدولة بفطنته وحكمته ورجاحة العقل وحسن التدبير أن يدخل العديد من المناطق التي لم تكن خاضعة للسلطة العباسية تحت سلطة الخلافة، بعدما كانت شبه مستقلة أو تابعة لقوى ثانية مناهضة للعباسيين فذكرت المصادر جهوده تلك بالقول :" ونهض فخر الدولة بأمور الوزارة أحسن نهوض، وكانت الأطراف المتاخمة للعراق عاصية على الخليفة، وكان ملوكها أصدقاء فخر الدولة، فكاتبهم وراسلهم، واستمالهم فدخلوا في طاعة الخليفة " [1] وذكر الذهبي:" وكانت الخطبة بالشام جميعه إلى عانة تقام للمصريين، فكاتب فخر الدولة أهل دمشق، وبني كلب ومحمود بن الروقلية صاحب حلب والمتميزين بها ، وجماعتهم وأصدقاؤه، يدعوهم إلى الدعوة العباسية، فأجابوه، وجاءت رسلهم بالطاعة " [2] فكان له الفضل في إعادة الخطبة العباسية إليها وامتداد النفوذ الخليفة إليها بعد فترة طويلة من الزمن كانت خارجة عن طاعته.

2- تولي السلطة نيابتاً عن الخليفة العباسي:

عرف عن فخر الدولة أنه كان ينوب عن الخليفة القائم بأمر الله في حال تعذر قيامه بمهام السلطة لأي سبب كان فكان يقوم بمهامه خير القيام وهذا ما أشار إليه ابن كثير عندما تحدث عن مرضه الذي تعرض له في شهر صفر سنة (467هـ/1074م) حيث ناب عنه فخر الدولة في إدارة السلطة لحين شفائه فقال:" مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضا شديداً انتفخ منه حلقه، وامتنع من الفصد، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح الحال، وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بعافيته " [3] كما ناب عن الخليفة العباسي في حضور مجالس العزاء فعندما قتل السلطان ألب أرسلان بن داود بن السلجوقي سنة

(1) ابن العمراني، الإنباء ، ص311؛ ابن الطقطقي، الفخري ، ص283، 284.

(2) تاريخ الاسلام،ج33، ص120.

(3) البداية ،ج12، ص134.

(465هـ/1072م) ووصل خبر موته إلى بغداد جلس الوزير فخر الدولة في مجلس العزاء لأخذ العزاء نيابة عن الخليفة وعندما وفاة جمال الملك أبو منصور بن نظام الملك سنة(475هـ/1082م) وورد خبر وفاته بغداد، جلس أخوه مؤيد الملك للعزاء، فأرسل الخليفة فخر الدولة، وابنه عميد الدولة، معزيين [1]

3- دوره في ترشيح واختيار الخليفة:

كما كان لفخر الدولة بن جهير الدور في مساندة الخليفة القائم بأمر الله في اختيار من ينوب عنه بالخلافة عندما أشهده على اختيار المقتدي بأمر الله لتولي الخلافة من بعده بوصية من جده الخليفة القائم بأمر الله الذي سانده بالاختيار فأوصى به ليكون الخليفة قبل وفاته سنة (467هـ/1074م)[2]

4- ارساله مبعوث ممثلاً عن الخلافة العباسية:

كان ابن جهير خير مبعوث من قبل الخلافة العباسية ، فقد اعتمد عليه الخليفة المقتدي بأمر الله في ارساله كمبعوث من قبله ليمثله والخلافة العباسية لغايات مختلفة فقد أرسله سنة(474هـ/1081م)إلى السلطان ملكشاه يخطب له ابنته فسار إلى أصبهان وعقد له عليها ومنحها خمسين ألف دينار معجلة وعاد إلى بغداد [3]

وذكر ابن الأثير في أمر الخطبة ابنة فقال:" أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبي نصر بن جهير إلى السلطان يخطب ابنته لنفسه، فسار فخر الدولة إلى أصبهان، إلى السلطان يخطب ابنته، فأمر نظام الملك أن يمضي معه إلى خاتون زوجة السلطان ، فمضيا إليها فخاطباها على أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار، وأنه لا يبقي له سرية ولا زوجة غيرها، ولا يكون مبيته إلا عندها، فأجيبت إلى ذلك، فأعطى السلطان يده، وعاد فخر الدولة إلى بغداد" [4]

5- مسؤولية استقبال الضيوف والمبعوثين للخلافة:

(1) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص231، 281،232

(2) الصفدي، الوافي ،ج1، ص111؛ الذهبي، سير ،ج18، ص319؛ القلقشندي، مآثر ،ج1، ص335.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج32، ص11؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج5، ص8 ،9.

(4) الكامل،ج8، ص278.

كما كان له شرف تمثيل الخليفة العباسي في استقبال الضيوف نيابة عنه ففي محرم سنة(455هـ/1063م)، توجه السلطان طغرلبك أبو طالب محمد(ت455هـ/1063م) إلى بغداد، فخرج الوزير ابن جهير فاستقبله، وكان مع السلطان الأمراء، فنزل عسكره في الجانب الغربي[1] وفي نفس السنة قدم إلى بغداد دبيس بن مزيد، وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله أيضاً نيابة عن الخليفة [2]

كما كان الوزير فخر الدولة على رأس الوفد الذي استقبل شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران، صاحب الموصل حال وصوله بغداد سنة (458هـ/1065م) فلقيه بموكب الاستقبال وسار معه للقاء الخليفة الذي أكرمه وخلع عليه [3] وعندما وصلت أرسلان خاتون،أخت السلطان ألب أرسلان،وهي زوجة الخليفة، إلى بغداد في شهر جمادى الأولى سنة(459هـ/1066م) كان في استقبالها فخر الدولة[4]

كما كان فخر الدولة في مقدمة من استقبل الوزير سعد الدولة سعد الدولة الكوهرائين (ت493هـ/1099م) عند وصوله لبغداد للقاء الخليفة القائم بأمر الله في يوم الخميس الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة (464هـ/1071م) وتسليمه رسالة من السلطان ملكشاه موجهة للخليفة [5]

سادساً- رحيله عن بغداد إلى السلطان ملكشاه وسيطرته على ديار بكر والموصل:

رغم عزل فخر الدولة عن الوزارة سنة(472هـ/1079م) وتنصب ابنه عميد الدولة بدل عنه بالوزارة [6] إلا أنه استمر على هيبته ومكانته وإن لم يتسم بالوزارة حتى خرج من بغداد سنة(476هـ/1083م) متوجهاً إلى السلطان ملكشاه الذي بعث إليه بالقدوم فرحل إليه ودخل في خدمته فأكرمه بأن ولاه الولاية وبعض الأعمال [7]

(1) ابن خلدون، تاريخ ،ج3، ص577، 578.

(2) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص184.

(3) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص207؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص343.

(4) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص211.

(5) ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص138.

(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص365؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج3، ص585.

(7) ابن العمراني، الإنباء ، ص201 ،202؛ ابن خلكان، وفيات ،ج5، ص128.

وأشار ابن الغثير أن سبب رحيله عن بغداد كان لعزل ابنه عميد الدولة عن الوزارة للخليفة المقتدي بالله فذكر:" وعندما عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة في صفر سنة(476هـ/1083م) سار والده فخر الدولة مرتحلاً إلى ديار بكر، حيث وصل يوم عزله رسول من السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك، إلى الخليفة يطلبان أن يرسل إليهما بني جهير، فأذن لهما في ذلك، وساروا بجميع أهلهم ونسائهم إلى السلطان، فصادفوا منه، ومن نظام الملك الإكرام والاحترام، وعقد السلطان على فخر الدولة ديار بكر، وخلع عليه ، وسير معه العساكر، وأمره أن يقصدها ويأخذها من بني مروان، وأن يخطب لنفسه، ويذكر اسمه على السكة، فسار إليها" [1]

وذكر ابن خلدون أن سبب خروج فخر الدولة عن بغداد أن الخليفة المقتدي بالله عزل ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة(476هـ/1083م) الذي كان قد أعيد إليها بطلب من الوزير نظام الملك ، فلما علم الوزير نظام الملك عزل عميد الدولة بعث يطلب حضور بني جهير عنده فساروا بأهليهم ، وعندما وصلوا إلى الوزير والسلطان ملكشاه:" عظمت حظوظهم وعقد لفخر الدولة على ديار بكر وبعث معه العساكر لفتحها من يد بني مروان وأذن له في اتخاذ الآلة وأن يخطب لنفسه ويكتب اسمه على السكة " [2]

يبدو من خلال سياق الكلام السابق أن العلاقة بين فخر الدولة والوزير نظام الملك كانت جيدة وبخاصة أن ابنه عميد الدولة قد تزوج بأبنة الوزير نظام الملك فمن الطبيعي أن تكون بينهم علاقة من المودة وطيب وبالتالي تنعكس على علاقتهم مع السلطان السلجوقي أيضاً لدرجة أن يرسل إليه الملكشاه السلجوقي ويوليه الأمارة والقيادة العسكرية لفتح وديار بكر وأمد والموصل وغيرها.

1- سيطرة فخر الدولة بن جهير على ديار بكر:

ذكرت المصادر أن السلطان ملكشاه بعث الوزير فخر الدولة سنة (477هـ/1084م) لفتح ديار بكر وأخذها من يد منصور بن نصر بن مروان (ت479هـ/1087م) آخر حاكم ديار بكر ومياه فارقين الذي حال ما علم استنجد بصاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل

(1) الكامل ،ج8، ص286.

(2) تاريخ ،ج5، ص8، 9.

[1] لأجل مساعدته في مواجهة فخر الدولة وعرض له أن يعطيه مدينة آمد نظير مساعدته تلك فتحالفا على ذلك واجتمعا لحرب ابن جهير [2]

فارسل ابن جهير يطلب المساعدة لقتالهم فبعث السلطان ملكشاه الأمير ارتق بن أكسك التركماني (ت484هـ/1091م) في العساكر مددا لابن جهير فجنح ابن جهير إلى الصلح وبادر أرتق الى القتال فهزم العرب والأكراد وغنم معسكرهم وهرب مسلم بن قريش الى آمد وأحاطت به العسكر فلما اشتد الحصار عليه راسل إلى الأمير أرتق بأن يسمح له بالخروج من آمد مقابل ان يمنحه المال فوافق الامير ارتق في الخروج على مال بذله له فقبله وكانت له حراسة الطريق فخرج شرف الدولة مسلم الى الرقة، وبعدها سار ابن جهير إلى ميافارقين، وعندما بلغ السلطان بحصار شرف الدولة في آمد بعث عميد الدولة في جيش كبير إلى الموصل ومعه آقسنقر قسيم الدولة أبو الفتح ،مملوك السلطان ملكشاه وساروا ا
إلى الموصل فلقيهم الأمير أرتق وساروا للسيطرة على الموصل فلما قربوا منها بعث عميد الدولة إلى أهلها بالترغيب والترهيب فأذعنوا واستولى عليها [3]

وفصل أبو الفداء في أحدث سنة(477هـ/1084م) فذكر:" فيها سار فخر الدولة بعساكر السلطان ملكشاه، إلى قتال شرف الدولة مسلم بن قريش، ثم سير السلطان ملكشاه إلى فخر الدولة جيشاً آخر فيهم الأمير أرتق بن أكسك وقيل أكسب، جد الملوك الأرتقية، فانهزم شرف الدولة مسلم، وانحصر في آمد، ونزل الأمير أرتق على آمد، فحصره فبذل له مسلم بن قريش مالاً جليلاً ليمكنه من الخروج من آمد فأذن له أرتق، وخرج شرف الدولة من آمد في حادي عشرين ربيع الأول من هذه السنة، فسار إلى الرقة وبعث إلى أرتق ما وعده به، ثم سير السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بعسكر كثيف، وسير معه، أقسنقر قسيم الدولة إلى الموصل، فاستولى عليها عميد الدولة، وهذا أقسنقر هو والد عماد الدولة زنكي، ثم أرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة بالعهود يستدعيه إلى سلطان، فقدم شرف الدولة إليه، وأحضره عند السلطان ملكشاه ، وكان قد ذهبت أمواله، فاقترض شرف الدولة مسلم، ما خدم به السلطان، وقدم إليه خيلاً من جملتها فرسه التي نجا عليه في المعركة، المشهور وكان اسم الفرس بشاراً، وكان سابقاً، وسابق به السلطان الخيل، فجاء سابقاً،

(1) ابن كثير، البداية ،ج12،ص154؛ الصفدي، الوافي ،ج1،ص112؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج5،ص260.
(2) أبو شامة، عيون الروضتين،ج1، ص94؛ الصفدي، الوافي ،ج1، ص112.
(3) أبو شامة، عيون الروضتين،ج1، ص94؛ ابن كثير، البداية ،ج12، ص154.

فقام السلطان قائماً لما تداخله من العجب، فرضي السلطان على مسلم، وخلع عليه وأقره على بلاده" [1]

وذكر ابن العديم :" ان نظام الملك كان يميل إلى شرف الدولة، ويشير بالإحسان إليه والصفح عنه وكاتب الوزير نظام الملك شرف الدولة يشير عليه بالوفود على السلطان، ووعده بما طابت به نفسه، فسار من الرحبة إليه، ولقيه نظام الملك على مراحل من الموصل، فترجل شرف الدولة وقبل يده، وكان في محفة لمرض منعه من الركوب، فأمره بالركوب، وقال له: ذهب خوفك وشرح صدرك، وحقق أملك وكان قد استصحب معه كل ما قدر عليه من بقايا ذخائره وأمواله وخيله عقيب هذه النكبة العظيمة، ودخل على السلطان فأكرمه وأحسن إليه، وأجابه إلى كل ما طلبه، وسامحه ، وجدد له التوقيع بالبلاد الشامية والجزرية وكل ما كان في يده، وقرر معه مسير ولده محمد وأن يكون في عسكره، وكاتب أخاه تاج الدولة أن لا يعرض لبلاده"[2] وأشارت المصادر أن فخر الدولة تقدم سنة (478هـ/1085م) واستولى على آمد ثم على ميافارقين ثم على جزيرة ابن عمر وأخذها من منصور بن نصر بن مروان وهو آخر من ملك منهم وانقرضت بأخذ الجزيرة منه مملكة بني مروان[3]

وذكر أن استيلاء ابن جهير على آمد،كان في محرم سنة(478هـ/1085م) ثم السيطرة على ميافارقين في السادس من جمادى الآخرة من تلك السنة ، كما أرسل فخر الدولة جيشا إلى جزيرة ابن عمر، " فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان، وهم من أعيان أهلها، وقصدوا بابا للبلد صغيراً يقال له باب البويبة لا يسلكه إلا الرجالة لأنه يصعد إليه من ظاهر البلد بدرج، فكسروه، وأدخلوا العسكر، فملكه" [4] واستولى على أموال بني مروان[5] وبذلك انقرضت دولة بني مروان بموت منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة اخر

(1) المختصر ،ج2، ص195.

(2) زبدة الحلب ، ص212.

(3) ابو الفداء، المختصر،ج2، ص196؛ ابن الوردي، تاريخ ،ج1، ص370.

(4) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص299، 300؛ الصفدي، الوافي ،ج1، ص112.

(5) ابن خلكان، وفيات ،ج5، ص128؛ الصفدي، الوافي ،ج1، ص112.

حكامها بالجزيرة، سنة (489هـ/1095م)[1] فحملته زوجته إلى تربة آبائه، فدفنته ثم حجت، وعادت فابتاعت ديراً بقرب جزيرة ابن عمر، أقامت فيه تعبد الله [2] وبعد ان استولى فخر الدولة على أموال بني مروان وذخائرهم، بعثها إلى السلطان ملكشاه مع ابنه زعيم الرؤساء، فوصل أصفهان في شوال سنة(478هـ/1085م) وسلمها اليه[3]

2- عودة فخر الدولة لمدينة الموصل وتوليه حكمها ووفاته :

بعد أن سيطر فخر الدولة على ديار بكر وتوابعها اخذ بإدارة أحوال تلك البلاد نيابة عن السلطان السلجوقي وخطب لنفسه، وضرب النقود وذكر اسمه عليها [4] واستمر يحكمها نيابة عن السلطان حتى سنة(479هـ/1089م) حيث صدر في هذه السنة الامر بعزل فخر الدولة عن ديار بكر[5]

استمر فخر الدولة بعيد عن المناصب حتى سنة (482هـ/1089م) حيث في تلك السنة تولى حكم الموصل وتوابعها بأمر من السلطان السلجوقي ، بعدما نزعها من بني عقيل، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الموصل كانت في هذه الفترة تحكم من قبل الامير إبراهيم بن قريش بن بدران (ت486هـ/1093م)أمير بني عقيل، واستمر ذلك حتى استدعاه السلطان ملكشاه سنة(482هـ/1089م) فلما حضر اعتقله، وجعل ابن جهير حاكماً على الموصل [6] وديار ربيعة و نصيبين وسنجار والخابور وغيرها وأقام متولياً عليها بأمر من السلطان ملكشاه وخطب له على منابرها إلى أن توفي في سنة(482هـ/1089م) [7] بالموصل في شهر رجب، وقيل في المحرم، سنة (483هـ/1090م)، حيث صلي عليه ودفن في تل توبة قبالة الموصل[8]

(1) ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص418.

(2) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص401.

(3)ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص418.

(4) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص286؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج5، ص8، 9.

(5) ابن الاثير، الكامل،ج8، ص313؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج32، ص33.

(6) ابن خلدون، تاريخ ،ج4، ص347.

(7) الصفدي، الوافي ،ج1، ص113؛ ابن الوردي، تاريخ ،ج2، ص5؛ الزركلي، الأعلام،ج7، ص22.

(8) ابن الجوزي، المنتظم ،ج16، ص290؛ ابن الاثير، الكامل ،ج8، ص335.

الخاتمة

توصل الباحث في نهاية البحث وبعد الدراسة المستفيضة لشخصية الوزير فخر الدولة بن جهير إلى عدد من النتائج التي يمكن إدراجها وفق النقاط التالية

1- تكشف معطيات هذا البحث عن تعقيد المشهد السياسي الذي نشأ فيه فخر الدولة ، كما توضح التحديات التي واجهها أي وزير يتولى مسؤولية الوزارة في ظل هذا التداخل بين القوى السياسية والعسكرية ، وقد مكّنه إدراكه العميق لهذه التوازنات من لعب دور محوري في الإدارة .

2- يتّضح من هذا البحث أن فخر الدولة لم يكن مجرد وزير إداري، بل كان سياسياً حصيفاً، أسلوبه قائماً على البراغماتية والحذر، ما أهّله للبقاء في الوزارة فترات متعددة، وترك أثراً في البنية الإدارية والسياسية.

3- واجه فخر الدولة تحديات جسام خلال ولايته، من أبرزها الصراع على النفوذ داخل الدولة، لا سيما بين الخلافة العباسية والقيادات العسكرية السلجوقية، وقد لعب ابن جهير دور الوسيط والموازن، ونجح أحيانًا في تخفيف حدّة هذا الصراع.

4- وقد أدى نجاحه في مواجهة هذه الأزمات إلى عودته إلى الوزارة عدة مرات بعد إقالته، ما يدل على ثقة الخلفاء به في مرحلة حرجة من تاريخ الخلافة العباسية، حيث تراجعت السلطة المركزية وبرزت قوى بديلة.

5- تسليط الضوء على دور الوزراء في تشكيل السياسة العامة، إلى جانب إسهامهم في إدارة شؤون الدولة بصورة فاعلة، فضلًا عن إبراز البعد الإنساني والفكري ، وهو ما يعكس تداخُل السياسة مع الثقافة في تلك المرحلة.

المصادر والمراجع

1- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني،(1997م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت.

2- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد،(1937م)، مسالك الممالك ، مطبعة بريل، ليدن.

3- البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق،(1412هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت.

4- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي،(1403هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3،عالم الكتب، بيروت.

5- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،(1992م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي،(1988م)، تاريخ ابن خلدون ، تحقيق: خليل شحادة ، ط2، دار الفكر ، بيروت .

7- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ،(ج1،2،3: 1900م، ج5:1994)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز،

8- (1987)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى،ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

9- (1413هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

10- (1984م)،العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط2،الكويت.

11- الزركلي، خير الدين بن محمود ،(2002م)،الأعلام ، ط15، دار العلم للملايين، بيروت.

12- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(1952م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة ، مصر.

13- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل،(1997م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

14- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ،(2000م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، دار إحياء التراث، بيروت.

15- ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا،(1997م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت.

16- ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي،(1992م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت.

17- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة،

18- (د.ت)، بغية الطالب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق.

19- (1996م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

20- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد،(1986م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت.

21- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد،(2001م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة .

22- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني،(1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

23- ابو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود الايوبي،(د.ت)،المختصر في أخبار البشر(يعرف بتاريخ ابو الفداء)، المطبعة الحسينية المصرية،القاهرة.

24- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري،(1985م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

25- الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد،(2000م)، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، دار صادر، بيروت.

26- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي،(1988م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

27- النويري، شهاب الدين أحمد عبدالوهاب،(2004م) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

28- ابن الوردي، عمر بن مظفر ،(1996م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

29- اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي،(1997م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

30- ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموري،(1995م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر ، بيروت.